

الانشاء المترهل

شرح الدكتور شميل يطبع كتابه « حوادث وخواطر » وأتيح لنا ان نقف على مقدمته فاعتطفنا منها الكلمة الآتية في اعتقاد هذا النوع من الانشاء الذي ضاع فيه فريق من كتاب المصر قال :

عُنتُ في الصيف الماضي (١٩١٢) بتقيد بعض حوادث مما مرَّ عليّ ، وتعليق بعض خواطر مما يعنّ لي ، عساي ان أجد فيها ما أشغل به أوقات الفراغ . وأفرج كُرب العزلة . حتى اذا كاد الصيفُ ينقضي نشبت الحرب البلقانية ، فوقفتُ في تلك حيث وقفت ، وعلَّقت على هذه ما علَّقت . - ثم ضمنتُ الى ذلك بعض ما تيسر لي العثور عليه من مطويٍّ لم يُنشر ، ومنشورٍ مبتر . وجمعتُ الكل في هذا الكتاب ، فجاء « من كل حرش عصا » او - من كل نبتة زهرة - على ذوق القاري . وسمَّيته « حوادث وخواطر »

حوادث هي بعض مذكراتي في حياتي القليلة الاختلاط الكثيرة الاعتزال . ان لم تتسع للرواية فقد تستوقف بدقة التحليل ؛ وان أقصرت من القديم المأنوس فقد يكون فيها شيء من الجديد الطليّ ؛ وان كثرت فيها الجدُّ فقد لا تخلو من الفكاهة ؛ وان كثرت فيها المعلقات الخصوصية فلم أهمل من خلالها المرامي العمومية . - حوادث لم أقلها عن يومية مدوّن فيها كلُّ ما كان يعرض لي كما يفعل البعض ، ولا سيما الافرنج في مذكراتهم ، ولكنني اعتمدتُ فيها على ذاكرة قلما تخونني في الوقائع ، وان كانت تتعثر كثيراً في التاريخ

وخواطر هي بعض أفكارٍ أُطلقها نجول في ما حولي ، وتمرُّ بي حتى أعماق نفسي ، وتنطق عن نظري الخاصّ ولو خالفت أحكامي أحكام سواي . وان لم أدع لها العصمة فاني أربأُ بها ان تميل مع الهوى ولو لقيت ما لقيت من عواصف

المواطن الغالبة حتى الساعة على أفعال سائر الناس ، والتمكنة فينا أكثر من سوانا على نوع خاص

حوادث وخواطر سردتها سرداً كما جاءت غير متبع فيها نهجاً مخصوصاً . ولم أتعل فيها غالباً لئلا يجمع بي جواد النبي فيخرجني عن جادة المعنى . فهجرت الوحشي الفحلي ، ولم أقع في الحضري المترهل ، وتقربت كثيراً من العامة ، عسى ان تكون البلاغة في ما كان أدنى الى تبليغ المراد

قلت الحضري المترهل لأني أرى اليوم ميلاً كبيراً للتباري في نهج من الانشاء إن أجاد فيه البعض فقد قل في المفلحون . وان حلا في بعض المواقف فمن المصاب ما يُغني . يترقق فيه اللفظ حتى لا يكاد ينفش السمع . يطوف على الازهار ويناجي نفوس الكواكب ، ويستمر دموع الملائكة ، ويثير أشجان القلوب . ولكن يحار الجنان في فهمه اذا تقصاه الى له . فلا هو نشيد الاناشيد ، ولا هو مرثي أرميا ، ولا هو مصابرة أيوب ، حتى ولا هو تسبيح داود على قيثارته . أو هو خليط منها يتلألاً ولكن كالبرق الخلب . ولا يبقى من جيده في الدهن الا أثر النسيم على صفحات الماء ، ومن رديئه الا أثر الكابوس في الحالم . وشأنه في الحالين شأن الماس الكاذب ، فلا هو حلية للتنافس ، ولا هو الفهم النافع باعتبار ان الماس الحقيقي فخم متبلور . - كأننا لم نهجر القعر الجاف الا لنقع في الرقيق المائع . وبينهما ضحايا الفكر مقتولة على مذبح هيكل المواطن الشائرة او الذابلة . - ولكم عرض لي وأنا أسمع هذا الشعر الجديد المشور ، ان تدبل عيناى ، وتدل يداى ، ويتهدى ذراعاى ، كأنهما جناحان هباً بي للتصفيق ولكنهما هباً متكسرين كأنى بهما الطير الواقع . - وما الناس بحاجة الى هذا التنويم المخدر بعد ذلك المثار الجاهلي المدمر قلت انى تقربت كثيراً من العامة ، ولا أريد بذلك انى تنزلت اليهم ، بل اريد انى تحديث الأسلوب الذي يفتح للجميع على حد سواء ، بدون أن يضطر فيه الى عمل يوجهه التأنق في الانشاء ، كثيراً ما يذهب بجهد الكاتب ، وقد يستعمل

فهم القارئ حيث يجب ان يُستحث ، ونحن ان لم نكن في عصر بالقياس الينا قالى
عصر بالقياس الى سوانا الوقت فيه ثمين ، عسانا أن لا نبقي مقيدين في الأغلال على
الاجيال . واستعملت كثيراً من الفاظهم التي تعبر جيداً عن المراد ، والتي ان وجد
بعد العناء في معجم اللغة ما يقوم مقامها ، فقد يعزُّ حتى على الأديب مغزاه حتى
يتقصاه في مكانه ، والمقصود من الكتابة ليس الإغلاق . كما اني أثبت كثيراً من
كلامهم الجاري مجرى المثل ، لأن الأمثال حكمة الشعوب التي تعبر عن أحوالهم
ومجرى أفكارهم في كل أطوارهم . ونهجت نهج الأمم الراقية من متقدمين
ومتأخرين ، ونهجت العرب أنفسهم في إبان حضارتهم في مستحدثات الصناعة
ومستبطنات العلم ، فلم التحول عن مسمياتها في لغاتها ، إلا حيث أمنت اللبس ولم
أخش التشويش ، ولا سيما في هذا العصر الكهربائي الذي يتدفق فيه المستجد كل
يوم تدفق السيل ، حتى صار التحول عنه الى أوضاع الاجتهاد خروجاً عن المألوس
المدرك الى الوحشي المفلق ، متبعاً في كل ذلك سنة التحول التي تتناول كل شيء
في الطبيعة والانسان في العمران ، والتي لا يقوى عليها حتى ولا الجامدون المتمكنون
من جهودهم مهما جمدوا

حوادث وخواطر لم أدار فيها ولم أحاب ، وان أغضب ذلك النفوس التي لم
تألف الا الهدهدة . واذا كنت أكثر فيها من الاتقاد أطلقه على ما حولي وأتناول
به حتى نفسي فلأن الاتقاد يبعث على التفكير . عسى ان يغلب علينا ما لا نحب
مما يُحمد « فنحس بفكرنا » لا انا « نفتكر دائماً بشعورنا » وقلما تنجح أعمال العقل
اذا غلبته العواطف

ولا أخشى حملات العقلاء ، فاحترام كل فكر ضروري لحياة الفكر . والاصفاء
الى كل نظر واجب . - وأدفع حملات سوام متستنصراً عليهم أبناءهم من أصلاهم
فهم الذين يثارون منهم . يثارون الافراد المجني عليهم والمجتمع الذي يسيئون اليه .

الركنور سميل

وسرعان ما يكون هذا الاثثار اليوم